كتاب حكاية

القصبة

روايـة مصورة

رسم : بثينة محمد الزاهر
رواية : ياسـر عبدالباقي

رواية مصورة

القصبة

رسم : بثينة محمد الزاهر
رواية : ياسر عبد الباقي

هذه الرواية المصورة ضمن مشروع " قصص مصنوعة من الريشة"
مدير المشروع : ياسر عبد الباقي , رئيس مؤسسة جدارية للتنمية الثقافية والإعلام

2023م

نُشر هذا الكتاب بدعم من الصندوق العربي للثقافة والفنون - آفاق
© حقوق الطبع محفوظة

رمت لي الحجة فطيمة كيس الطعام في حذر.
الظلام حالك في الزقاق, سمعت صوت محرك السيارة, وبعض الكلمات بالفرنسية .

الفرنسيون في كل مكان
أين عبدالقادر ؟!
لا أعرف .. لقد اختفى ؟

ادخلوا .. ادخلوا
اخفِ سلاحك .. لدينا أطفال
لن نبقى هنا

لا

سمعنا نحيباً قوياً مؤلماً , ثم هدوءً مخيفاً .

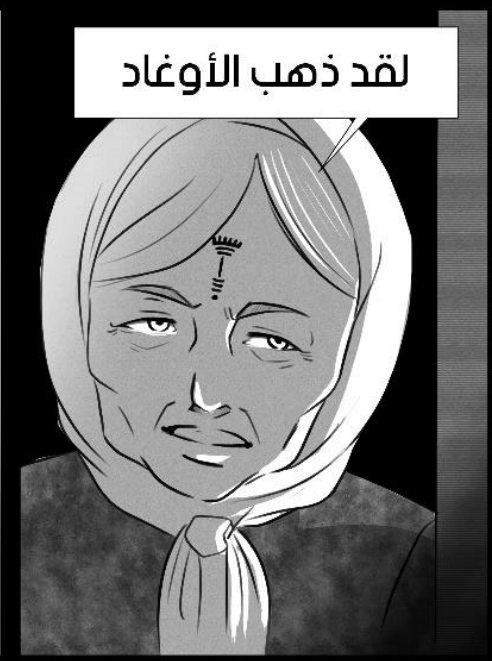

المرة الأولى التي أشاهد فيها رجلاً ميتاً, ثقب جسده بعدة رصاصات , وبقيت جثة أبو فرحات تلازمني فترة طويلة .

والله سأقتل أحدهم

حاولت اللحاق به لأمنعه لكنه تلاشى تحت المطر والظلام , بعد قليل سمعنا طلقات رصاص .

لا إله إلا الله .. ارحل الآن .. قبل أن يعودوا
ركضت كثيراً , تحت المطر وانا أحمل كيس الطعام .

صوت المطر وارتطامه على الأرض , وهدوء المكان المتقطع , ووقع قدميّ زادني رعبا .
لقد قتلوا أبا محمود

المكان فارغ ومخيف , وضوء خافت ينطلق من قنديل وحيد , معلق بسلسلة تتحرك به ذهابا وإياباً ..
الدماء تملأ الغرفة , الجدران مثقوبة بالرصاص , تراجعت إلى الخلف مذعوراً , وسقطت فاقداً الوعي ..

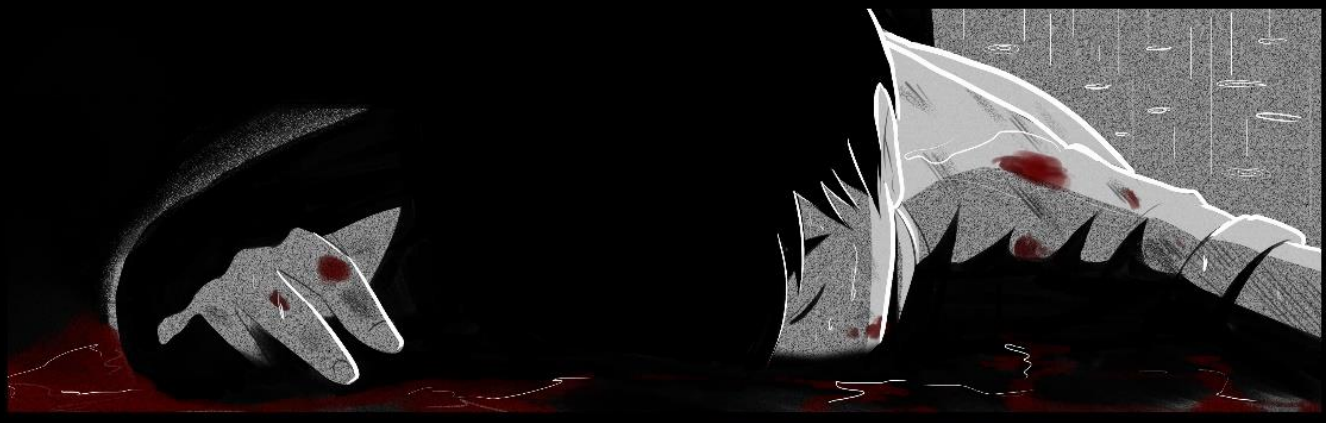

لا أعرف كم بقيت فاقداً للوعي , حيث استيقظت على ظلام دامس من حولي
بصيص من الضوء يتقدم نحوي , كلما تقدم يبهرني الضوء .

أنت في أمان بني ؟
عم يوسف .. أنت !!

تلك الدماء في البيت
ليست دماءنا
تلك الدماء التي شاهدتها في المنزل القديم .. كانت دماء الفرنسيين
عرفت أن العم يوسف ورجاله أحسوا بحركة خارج البيت , فخرجوا من خلال نفق سري وشاهدوا ثلاثة من الجنود الفرنسيين يدخلون البيت , باغتوهم بإطلاق الرصاص عليهم وقتلوا اثنين وأسروا الثالث .

ماذا ستفعلون بالأسير ياعم يوسف ؟
سنبادله بأحد رجالنا , هذا إذا لم يمت من الخوف منّا..

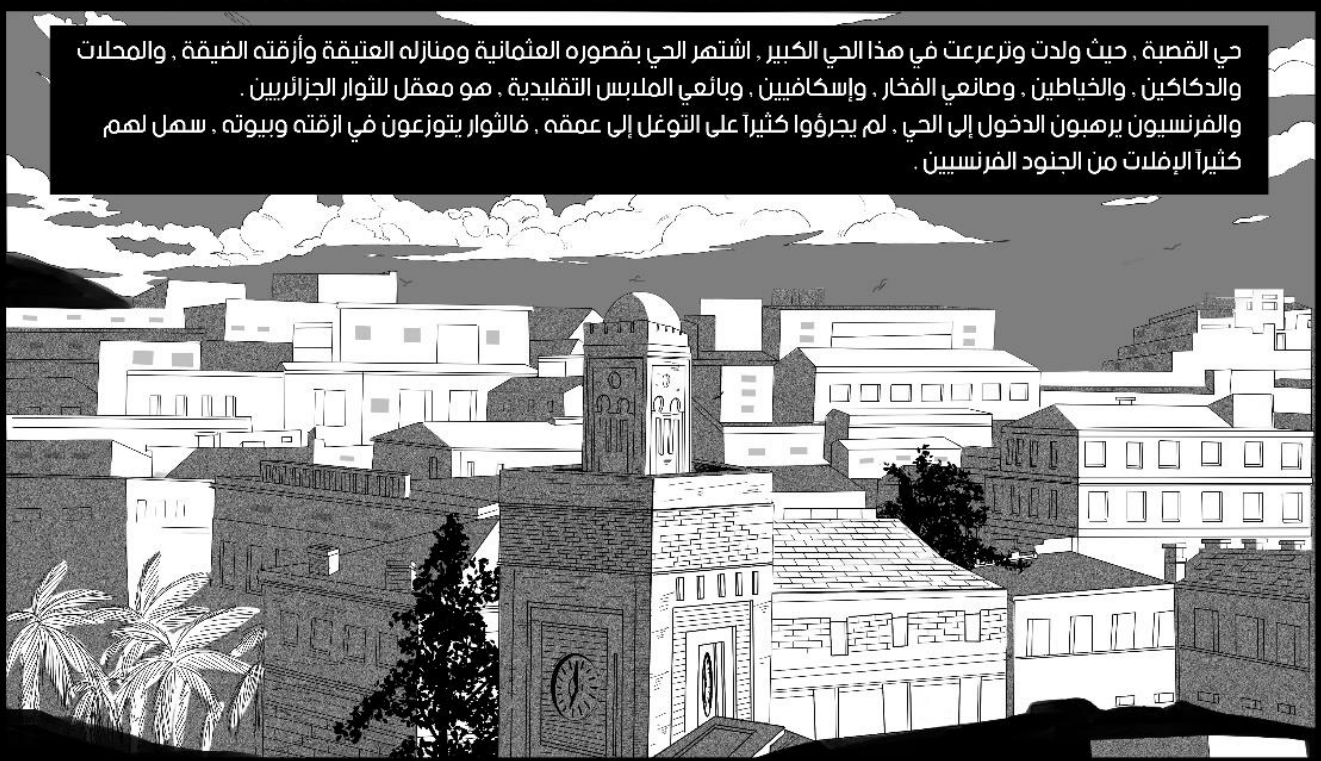
حي القصبة , حيث ولدت وترعرعت في هذا الحي الكبير , اشتهر الحي بقصوره العثمانية ومنازله العتيقة وأزقته الضيقة , والمحلات والدكاكين , والخياطين , وصانعي الفخار , وإسكافيين , وبائعي الملابس التقليدية , هو معقل للثوار الجزائريين .
والفرنسيون يرهبون الدخول إلى الحي , لم يجرؤوا كثيراً على التوغل إلى عمقه , فالثوار يتوزعون في أزقته وبيوته , سهل لهم كثيراً الإفلات من الجنود الفرنسيين .

اللهُ أكبر اللهُ أكبر , حي على الجهاد

لقد قتلوا زوجي الأوغاد , سوف أنتقم له
يا أم فرحات انتظري , هذا خطر عليكِ وعلى ابنكِ
دعها .. إنها امرأة شجاعة
أنت .. نم
لم أكن أحب بوعلي , كان يعدني طفلاً , رغم أني بلغت السادسة عشرة من عمري .

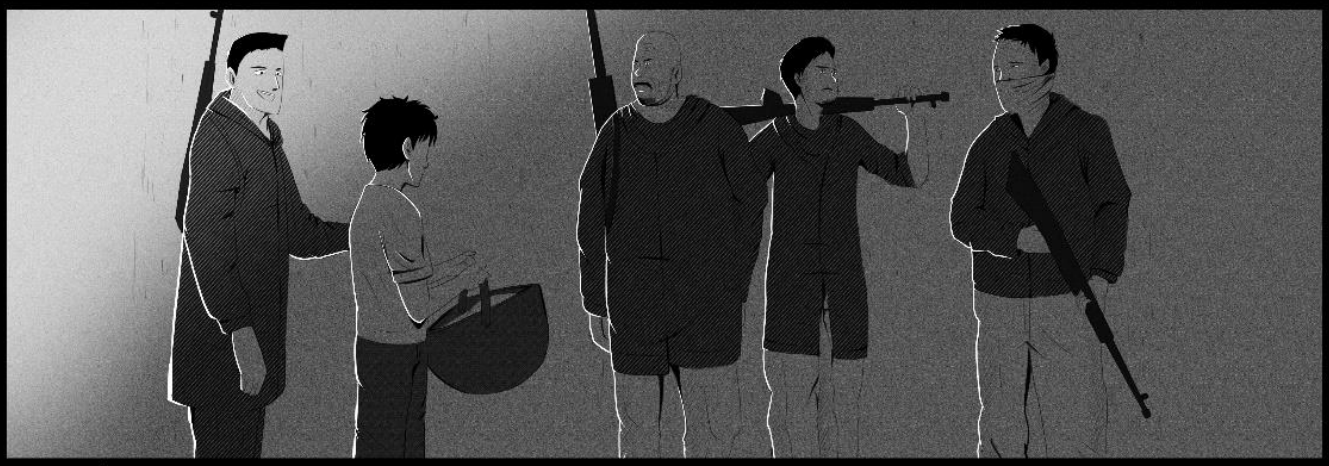

العم يوسف صديق والدي , يعتمد علي كثيراً في القيام ببعض الأعمال , كجلب الطعام للثوار , ونقل الرسائل , والتجسس على أماكن الفرنسيين ورصد تحركاتهم , وأيضا نقل قنابل الملتوف النارية .. وهو عمل بقدر ماكان يشعرني بالمتعة , كان له رهبته .

الفرنسي .. لقد انتحر
ركضنا جميعاً إلى المنزل القديم , حيث اخفينا الأسير الفرنسي .

وجدنا الجندي ممدداً على الأرض والدماء تنزف من رسغ يده اليسرى , وقطعة زجاج مكسورة .

ليذهب أحدكم ويحضر الطبيب بسرعة
تحرك الفرنسي , ارتبكنا , أسرع العم يوسف في ربط مكان الجرح يمنع نزيف الدم .
كان يجب أن تدعه يموت
بقيت أراقب الفرنسي وهو ينازع الموت , لا أدري لمَ حاول الإنتحار رغم أني أخبرته سابقاً بأننا سوف نبادله بأحد من رجالنا .

سوف يشفى , لم يكن الجرح عميقاً
احذروا .. , إنهم يفتشون بيتاً . بيتاً .. بحثاً عنه

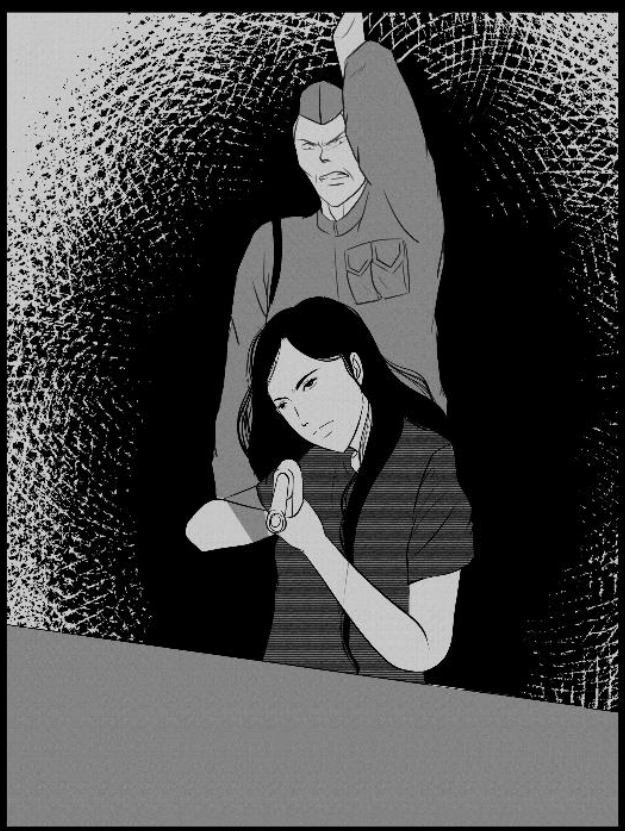

طاخ
اااح

مليكة تم القبض عليها وهي تحاول قتل جندي فرنسي .

مليكة عذبت واغتصبت ثم أطلق سراحها عن طريق الخطأ ,
لم أرها بعد ذلك , سمعت بأنها تزوجت رجلاً من الثوار وشكلت معه فصيلة من المقاومين .

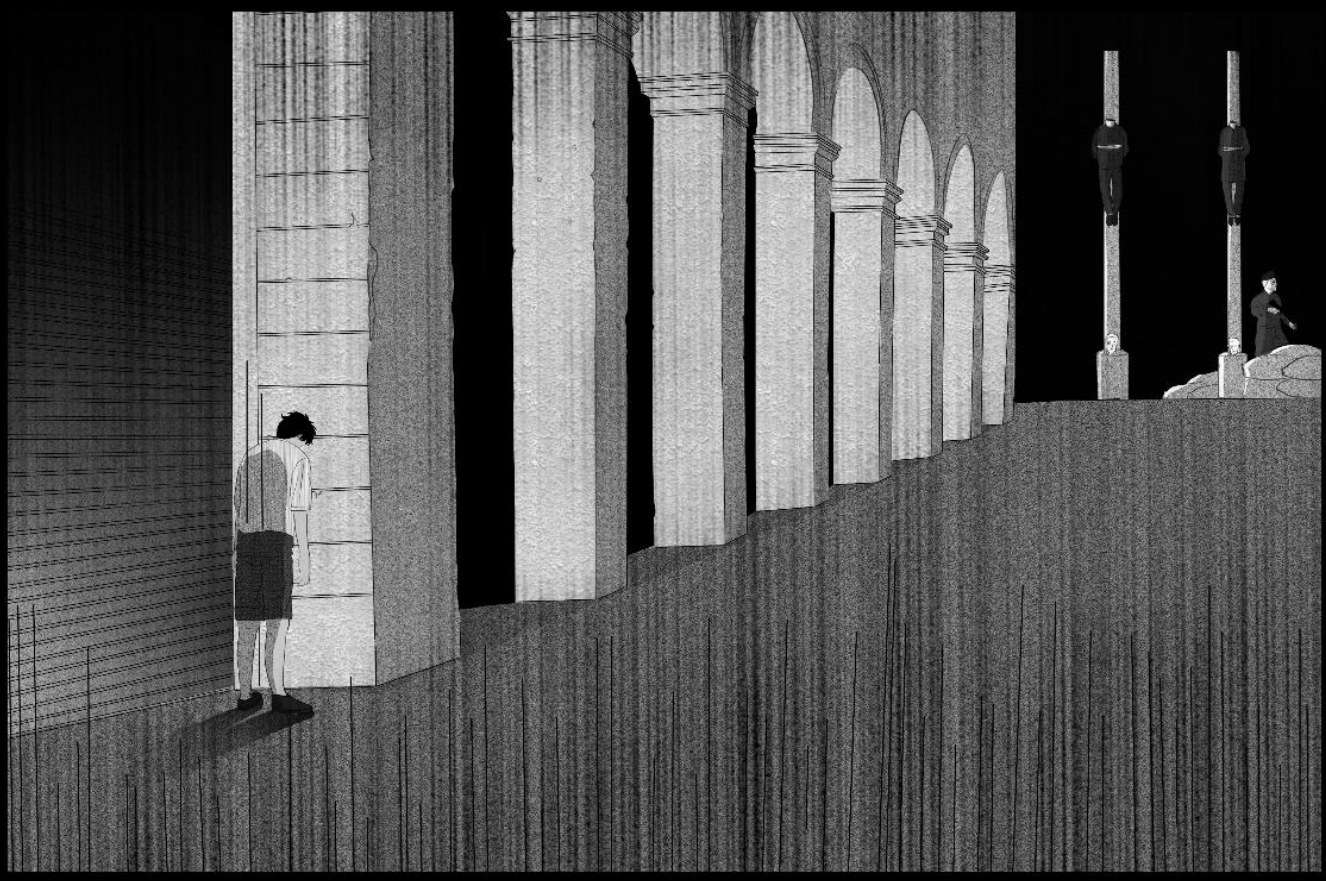

أعدم أبو محمود وعبد القادر بالمقصلة بعد محاكمة سريعة , وبقت جثتاهما معلقتين بجانب ثكنة عسكرية فرنسية.
حزن العم يوسف حزناً عميقاً , أول مرة أشاهده يبكي , كان أبو محمود أكثر الرجال المقربين إليه .

من حين إلى آخر كان الجنود يفتشون المنازل في حي القصبة بحثاً عن الجندي الأسير , ساعدهم بعض من الخونة الملثمين , لكننا كنا كل يومين ننقل الأسير من منزل إلى آخر .

حقاً ! لمَ لم تدعوني أذهب معكم ؟!
لقد ضربناهم .. قتلنا الكثير منهم
هذه بندقيتك سترافقنا في المرة القادمة
لا ..
مازال صغيراً
لقد كبر
عميرات
بقيت مندهشاً لم أصدق بأنه أصبح لدي بندقية خاصة بي .. كنت فرحا فقد تمنيت طويلاً حمل بندقية مثل أبي الذي مات شهيداً , كم تمنيت الانتقام لأبي .

إلى أين تذهب ؟ انتظر
تاب
تاب
تاب

اااااااه
إهدأ بني
اهئ
اهئ
اهئ
في لحظات فكرت في قتل الأسير الفرنسي .

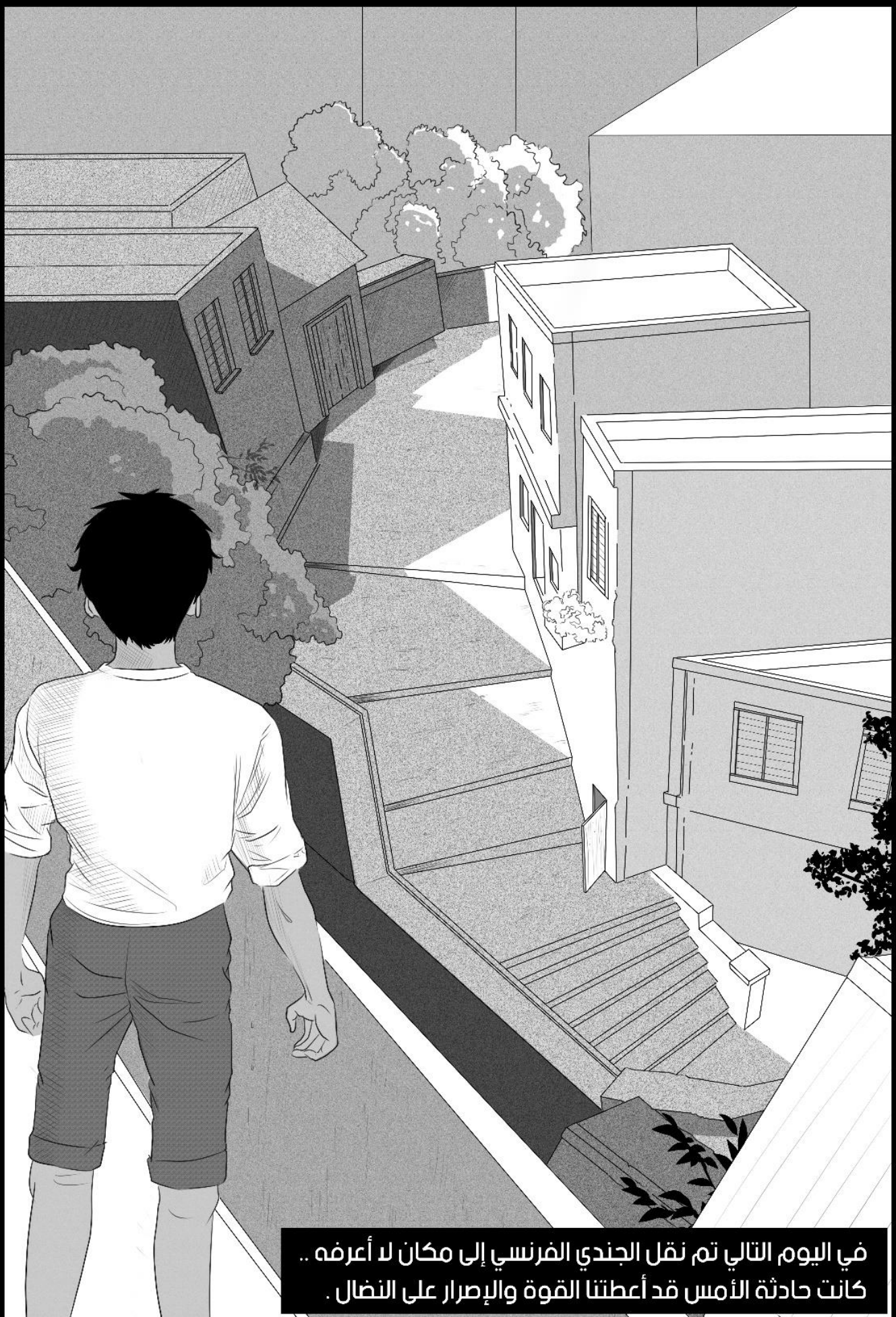
في اليوم التالي تم نقل الجندي الفرنسي إلى مكان لا أعرفه ..
كانت حادثة الأمس قد أعطتنا القوة والإصرار على النضال .

دار نقاش حاد بين بوعلي والعم يوسف بسببي , لم يكن بوعلي يوافق على ذهابي معهم للقتال مبرراً بأني مازلت طفلاً .
هييه .. دعني أرى قوتك
فدخلت عليه غاضباً ووقفت امامه مستعدا لمصارعته .

ابقَ في فراشك

آآآآآآآآآآ
آآآ
آآآآآآآآآآ
هيا بني .. دعه يرى قوتك

نهض بوعلي مسدداً لي عدة لكمات قوية , ترنحت لكني بقيت واقفاً , لم أسقط . أنفي وفمي ينزفان ,ثم سدد لكمة قوية قذفت بي أرضاً , تقدم بعد ذلك نحوي ومد يده ليرفعني , صافحني وشدني إلى صدره واحتضنني بقوه .

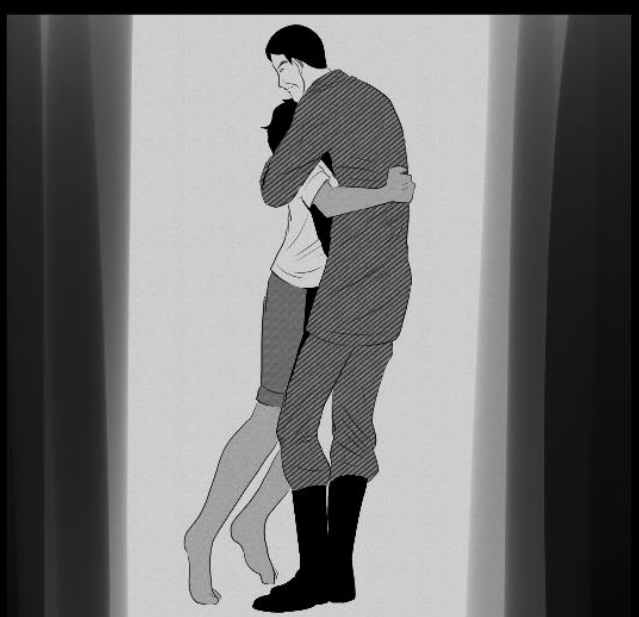

أصبحنا أنا و بوعلي متلازمين , كان يحبني ويهتم بي , أخبرني أن أخاه استشهد وهو في نفس عمري .

مليكة وزوجها استشهدا في كمين نصبت لهما الشرطة الفرنسية .

سوف نتدبر أمرهم بسهولة
افحصوا بنادقكم جيداً , احملوا قدراً كافياً من الرصاص , سوف نتوزع إلى مجموعات صغيرة مع الاخرين .. يدرك الفرنسيون أن حي القصبة من أصعب الأماكن اختراقاً .. لذلك سوف نحاصرهم في الحي أثناء دخولهم هذه الليلة
وصلت إلينا معلومات بأن الفرنسيين سوف يدخلون حارة القصبة بأعداد كبيرة للقبض على الثوار .
أنت ابقَ مع بوعلي
سوف نخرج الليلة لمهاجمتهم .. و نرعبهم
ذهب الجميع وبقيت أنا وبوعلي وسعدي كان بوعلي صامتاً طوال الوقت , بينما كان سعدي قلقاً والسيجارة لاتفارق فمه .

سوف نتجه إلى الشمال .. و نحاصرهم
كان الظلام حالكاً , وفي طريقنا وجدنا مقاتلين آخرين يمرون من أمامنا بخفة , ثم سمعنا صوتاً يشبه صوت البومة , وتكرر هذا الصوت كثيراً سمعت بوعلي يقلد أيضاً هذا الصوت , وأدركت أنها إشارة بين المقاتلين .
طاااخ
طاخ
طاخ
طاخ
إلى أين ؟ انتظر .. ستقتل
طاخ
طاااخ
ارتجفت , شعرت بالخوف الشديد , لم أشعر بنفسي وأنا أركض , وجدت نفسي أركض بقوة ..

وقفت في مكاني منتصباً , كانت الطلقات قريبة مني , أشعر بصفيرها تمر من أمام أذنيّ , كنت في حالة صدمة , قدماي تصلبتا على الأرض , صوت بوعلي يضعف ويضعف أمام كثافة الرصاص , فجأة شعرت كأن أحدهم رمى بنفسه فوقي وسقطنا معاً على الأرض جسده على جسدي .

بعد أن زحفنا إلى مكان آمن بقيت أنا و بوعلي في ذلك المكان حتى الصباح , كنا على بعد أمتار قليلة من موقع الفرنسيين تاركين إحدى عرباتهم تحترق مع سائقها .

أخفى بوعلي عن العم يوسف ماحدث لي تلك الليلة , وأخبرهم أني قمت بعمل شجاع وكدت أقتل أحد الفرنسيين , لحظت فيما بعد العم يوسف يشم فوهة بندقيتي , وألتفت نحوي مبتسماً .

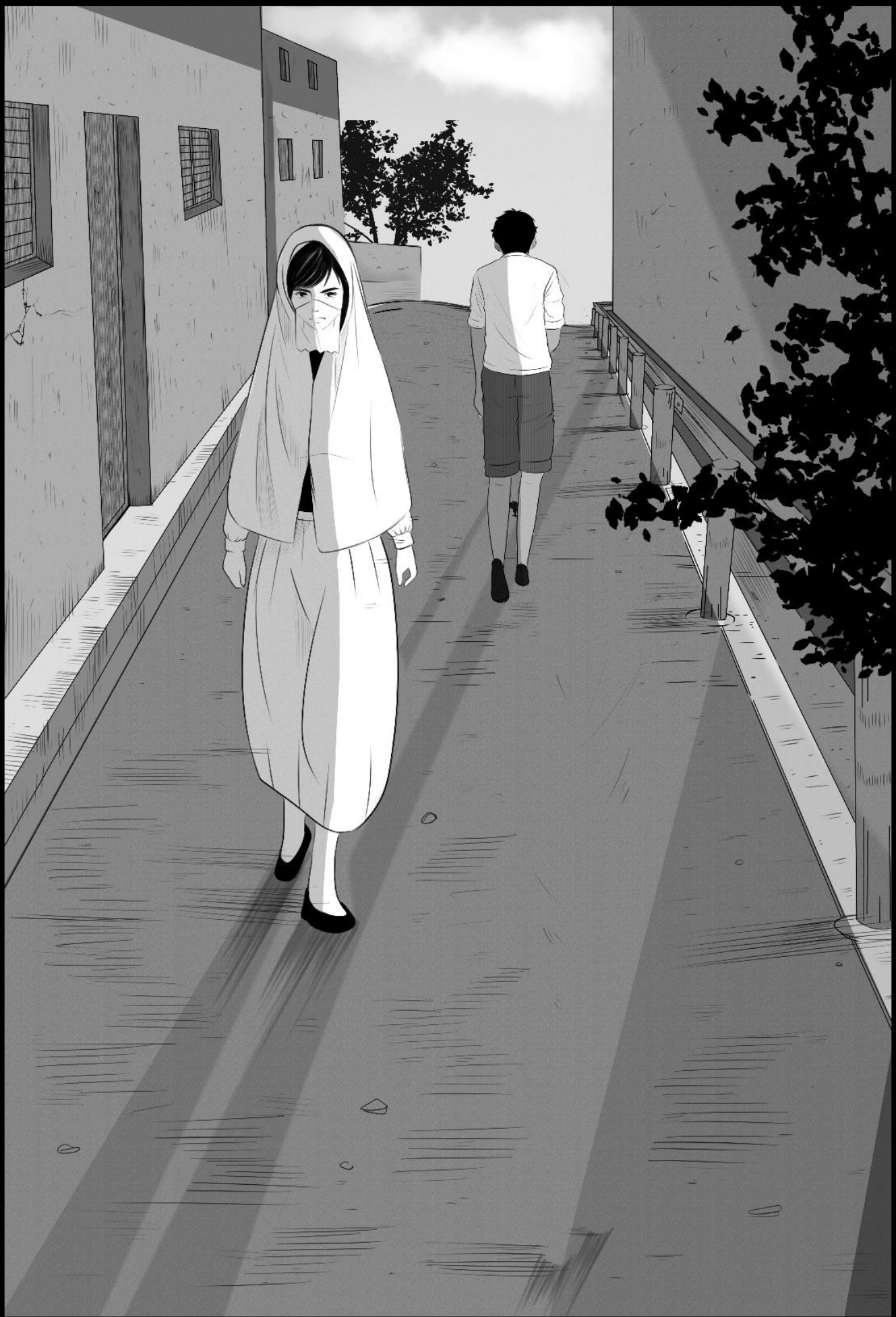

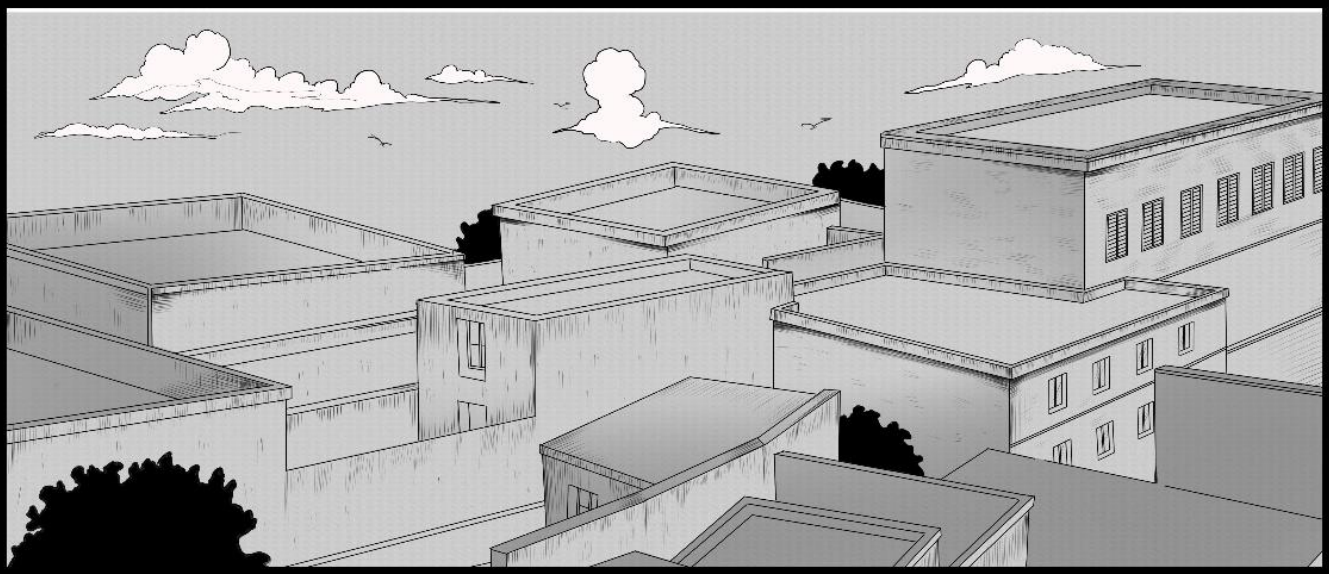

أمي تريد أن تراك
لا أستطيع أن أحضر
حضرت اليوم عائشة الابنة الوحيدة للعم يوسف , في المرة السابقة عندما حضرت لم أرها ..

أمي مريضة ستموت

أذهبي لا أستطيع الحضور
لن تحضر ! .. لن ترها قبل أن تموت

خرجت عائشة تركض , لا أعرف لمَ رحت أركض خلفها .
عائشة ... عائشة

نعم .. من أنت ؟! وماذا تريد ؟
أنا أعمل مع والدك
تعمل .. وماذا تعمل مع والدي ؟!
أنا من الثوار
حسناً ؟ ماذا تريد ؟! أيها الثائر
أرافقك إلى البيت

عميرات
ستة عشر .. وأنتِ ؟
أمك مريضة؟
ما اسمك ؟
كم عمرك ؟
سوف أبلغ الثامنة عشرة بعد أيام
نعم .. إنه السل

قال لي سعدي ذات يوم : إن الفرنسيين جبناء عندما يعجزون عن القبض على المجاهدين فإنهم يلجؤون إلى أسر عائلاتهم واغتصاب النساء وتعذيبهن .

كان الطعام الذي يصل إلينا قليلاً فاضطر العم يوسف أن يوزع بعض رجاله إلى أماكن أخرى , أراد بوعلي أن يأخذني معه إلا أن العم يوسف رفض ذلك وبشدة .

كانت هذه آخر مرة أرى فيها بوعلي .. انتهت الثورة وهاجر بوعلي إلى فرنسا .

أمي ماتت
يرحمها الله
عائشة .. عائشة

كان أبي عاجزاً أن يبكي أمامي ..
وكنت مثله عاجزة عن البكاء أمامه
يالتفاهتنا !

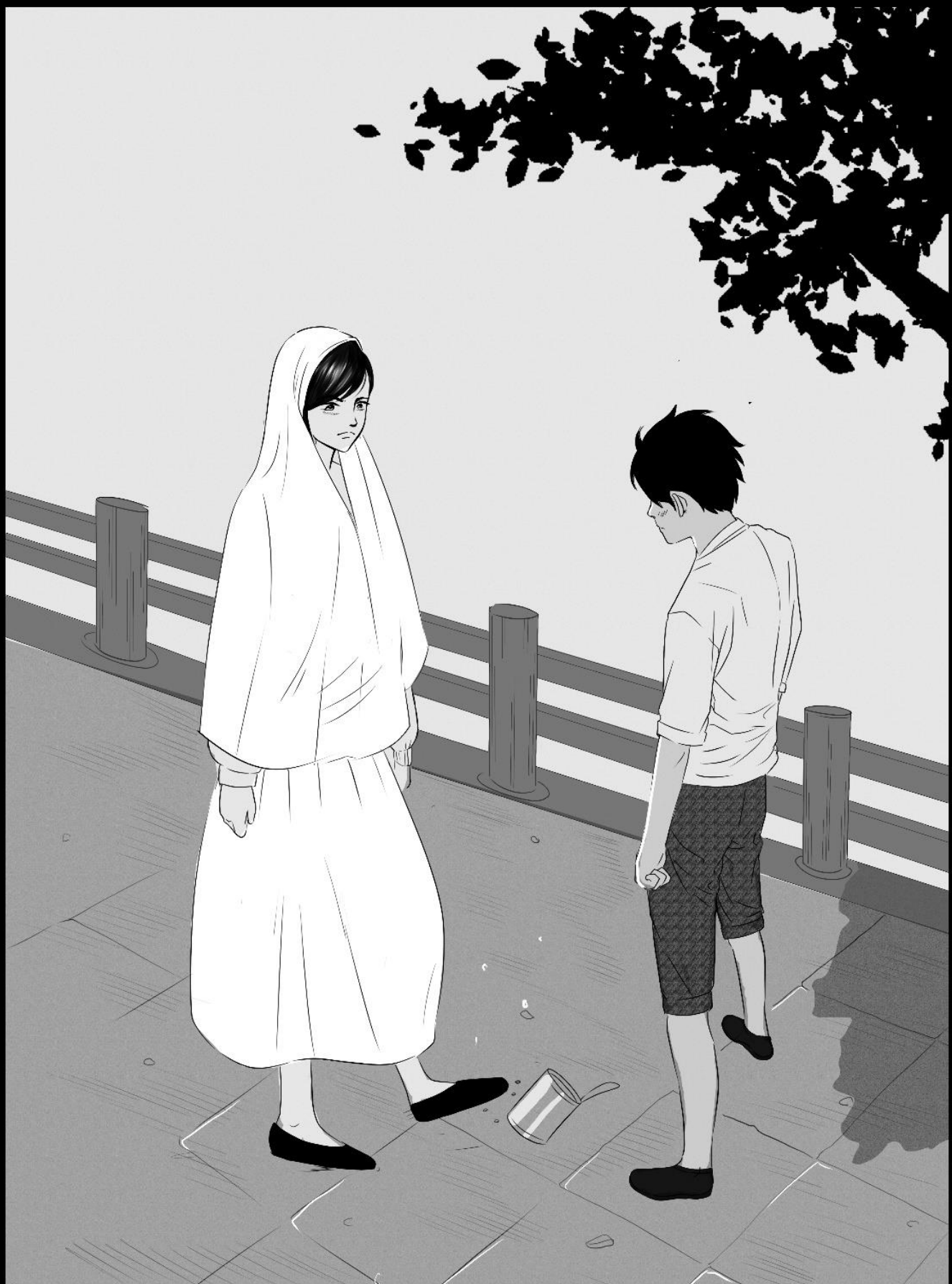

التقيت عائشة كثيراً .. أخبرتها ذات مرة أني أحبها , تطلعت نحوي بسخرية وقالت : أيها الطفل الصغير أليس من الأفضل أولاً أن نحرر أنفسنا ؟ مافائدة أن نحب بعضنا .. لنتزوج .. لتموت أنت برصاص الفرنسيين أو أموت أنا بمرض السل .. قبل كل ذلك ستتركني أقلق عليك طوال الوقت .

انظروا إلى حجم القنابل .. أصبحت صغيرة .. تستطيع النساء حملها
عظيم ..
أبلغ جميلة بوحيرد تحياتنا

خذني معك .. أريد أن أراها
لا يمكن
أرجوك
كنت قد سمعت عن جميلة كثيراً .. تمنيت رؤيتها , لكني لم أرها طوال حياتي .

التقيت في الصدفة بزيغود الذي عمل خياطاً مع والدي , والدي الذي كان يعمل خياطاً في النهار ومجاهداً في المساء .

تأثرت كثيراً ببكاء زيغود , كنت أعرفه شاباً رقيقاً ومؤدباً , أحب والدي كثيراً , وحزن كثيراً لوفاته , أخبرني بأنه فتح محلاً للخياطة وسماه باسم والدي , وطلب مني زيارته في المحل , وعدته بذلك , لكني خلفت وعدي , حتى زرته بعد سنوات طويلة .

طلبت عائشة مقابلتي كانت كئيبة , جلسنا على درب صغير , ثم راحت فجأة تبكي بشدة , أخبرتني أنها تحاول أن تعمل لتجمع النقود وتهاجر إلى فرنسا وطلبت مني أن أرحل معها .

لم أقل شيئاً .. كنت غاضباً من فكرتها .. ففضلت أن أذهب قبل أن أغضب أكثر .

ستموت .. ستموت هنا !
خرج العم يوسف ليلاً , وعاد مصاباً بجرح عميق وقد فقد نصف رجاله .
الجبناء رموا علينا قنابل النابلم
أصيب العم يوسف بحروق شديدة في بطنه وبترت بعض اصابعه .
ذهبت لمنزل عائشة لأخبرها أن والدها أصيب إصابة خطيرة .. لكني لم أجدها .. ففكرت أنها ربما سافرت .

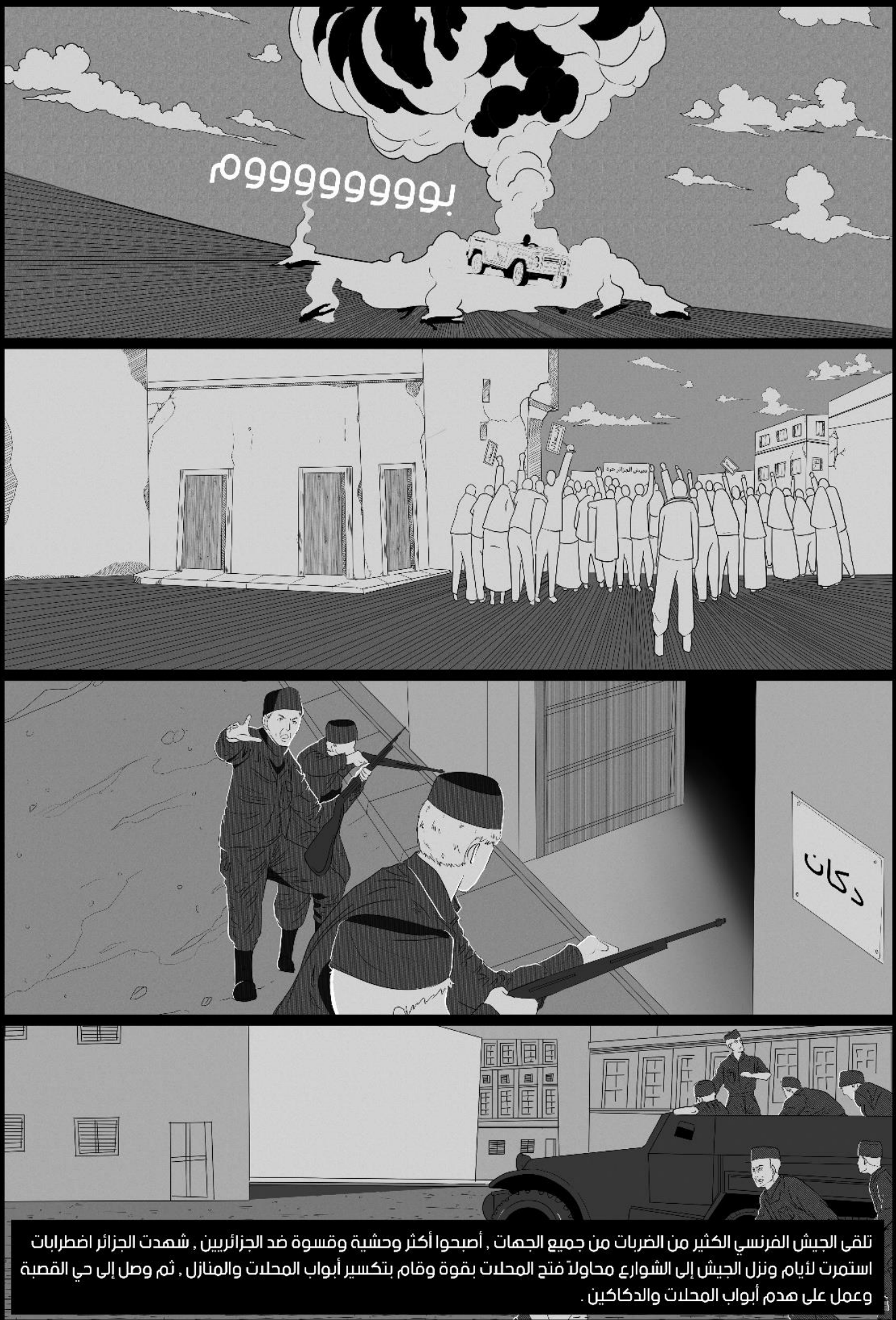

تلقى الجيش الفرنسي الكثير من الضربات من جميع الجهات , أصبحوا أكثر وحشية وقسوة ضد الجزائريين , شهدت الجزائر اضطرابات استمرت لأيام ونزل الجيش إلى الشوارع محاولاً فتح المحلات بقوة وقام بتكسير أبواب المحلات والمنازل , ثم وصل إلى حي القصبة وعمل على هدم أبواب المحلات والدكاكين .

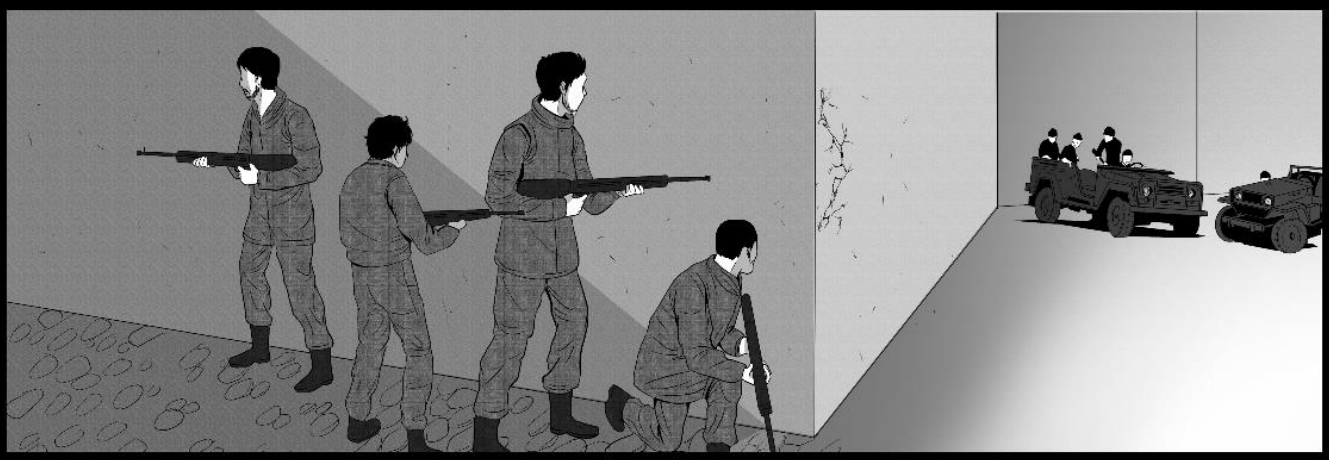

قام العم يوسف بتقسيمنا إلى مجموعات صغيرة , كل أربعة أفراد في مجموعة واحدة , وتوزعنا في الحي , وحدث اشتباك مع الفرنسيين , لم يجرؤوا كثيراً على الدخول إلى حي القصبة .

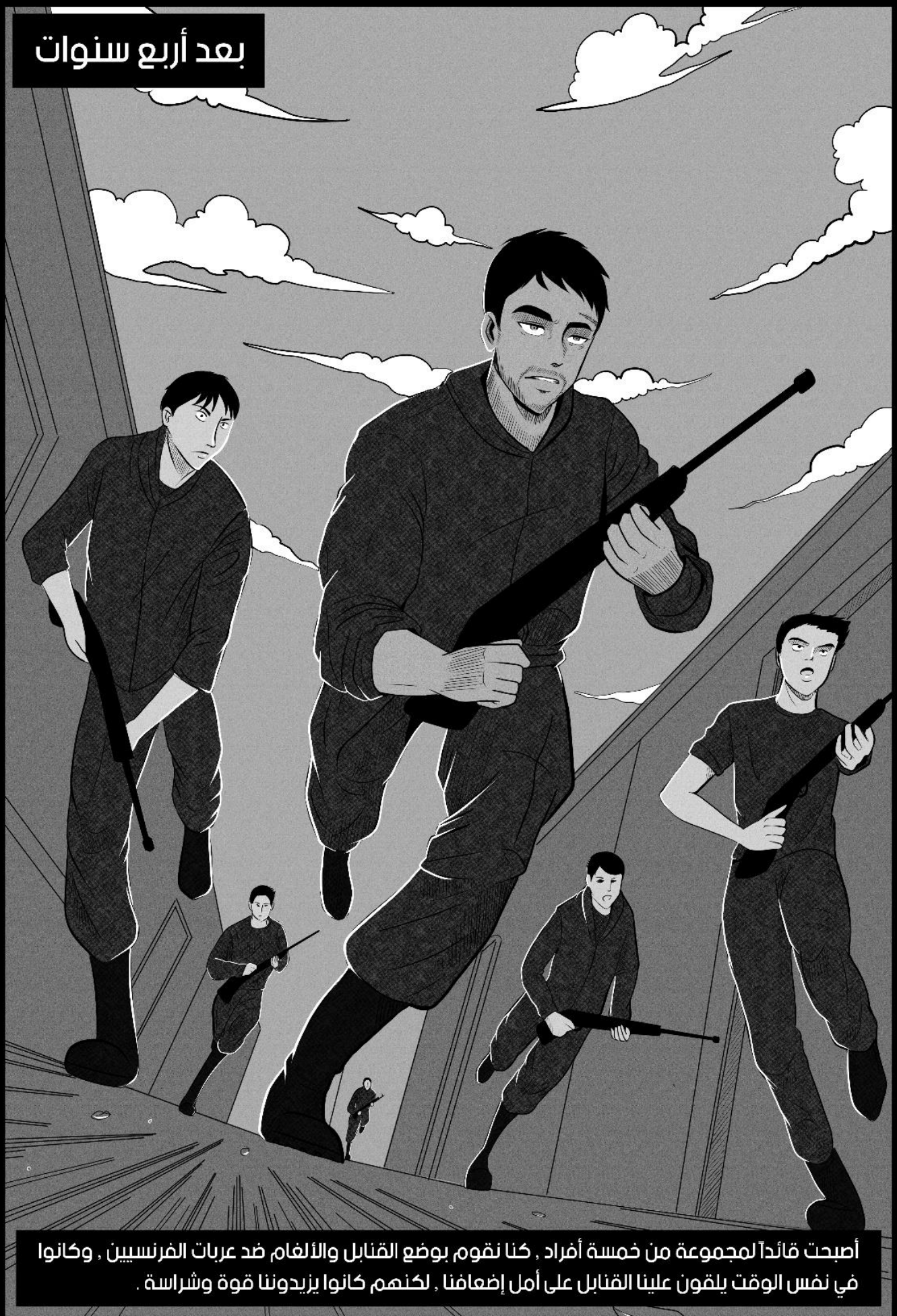
بعد أربع سنوات
أصبحت قائداً لمجموعة من خمسة أفراد , كنا نقوم بوضع القنابل والألغام ضد عربات الفرنسيين , وكانوا في نفس الوقت يلقون علينا القنابل على أمل إضعافنا , لكنهم كانوا يزيدوننا قوة وشراسة .

ذات يوم جاء إلينا الولد خوجا وهو في الرابعة عشرة من عمره , كلما ألتقي به يذكرني بنفسي حينما كنت في مثل سنه أنقل الطعام والأخبار إلى الثوار , أخبرني أن الفرنسيين سينقلون بعضاً من عرباتهم وجنودهم إلى معسكر آخر في منتصف الليل . طلبت من أفراد مجموعتي الاستعداد كنت مندفعاً ومتهوراً .

خرجنا من القصبة ليلاً وحملنا معنا أكبر قدر من القنابل والرصاص , بدت لي هذه المعركة هي المعركة الأخيرة , معركة التحرير .

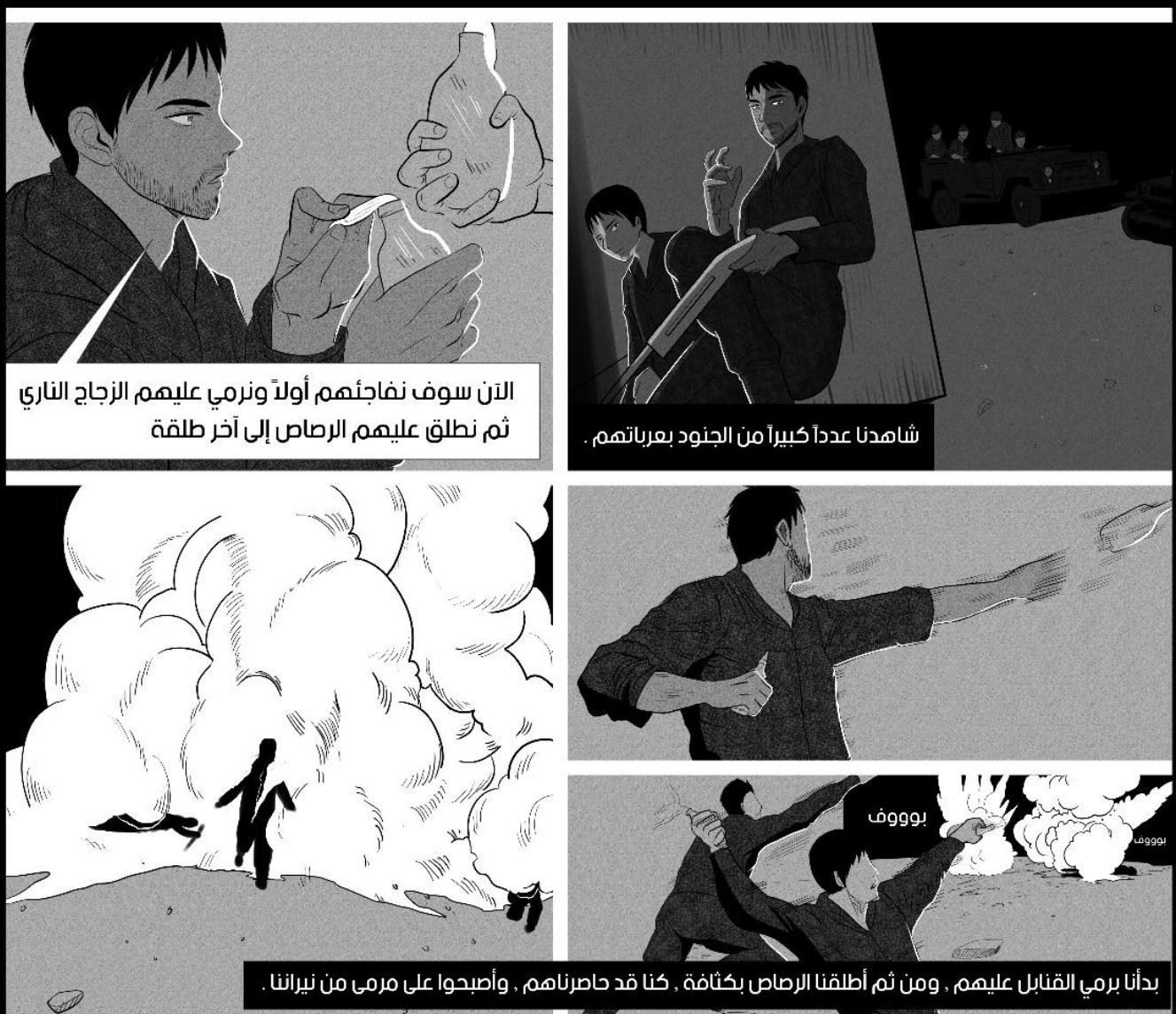

طلبت من رجالي الانسحاب , لكنهم حاصرونا , وسقطت قذيفة بالقرب منا وسقط عبدالهادي مصاباً بساقه فحملته على ظهري ورحت أركض .

مزقت أزرار قميصي , اخترقت شظية بطني دون أن أشعر بها , نظرت إلى الجميع بذهول وسقطت فاقداً الوعي .

عائشة
نعم حبيبي
أين كنتِ ؟
ابحث عنك
لم تسافري ؟!
أسافر !! .. ولمن أترك حبيبي الصغير يعتني به ؟

و أين العم يوسف ؟
ذهب ليحتفل
هل سيتزوج ؟!
يتزوج ... هههههه
سألتني عن أبي وقلت لك ذهب ليحتفل ..
لم تفهم بعد ؟ .. تعال حبيبي .. تعال تستطيع أن تمشي

النهـــــــاية

يعد حي القصبة العتيقة من أكبر الأحياء القديمة في الجزائر . ويعتبر شاهداً على ذاكرة الأمة وتاريخ الشعب الجزائري لإحتوائه على أكبر تجمع عمراني لمبان يعود تاريخ بنائها إلى العهد التركي .

وكان حي القصبة معقل الثوار في دار السبيطار التي كانت مخبأ للمجاهدين أمثال علي لابوانت وأحمد زبانه وجميلة بوحيرد وجميلة بلباشا وحسيبة بن بوعلي وغيرهم من المجاهدين الذين حركوا الثورة في وسط العاصمة وهددوا أمن الفرنسيين .

وعرف الحي أبان ثورة التحرير بالحي المشتبه فيه دائماً من طرف المستعمر نظراً للمباني القديمة .

ومن ثم عرف حي القصبة حكاية شعب أبان الثورة التحريرية حيث كتبت بحروف من الدم حكاية الثوار والمناضلين الجزائريين والشهداء مثل زيغود يوسف و محمد بومنجل وغيرهم .

صدر عن سلسلة حكاية المصورة:

- مجلة حكاية
- مجموعة قصصية (المجند)
- رواية البراخيين

AFAC ARAB FUND FOR
ARTS AND CULTURE
الصنـــــدوق العـــــربي
للثقـــــافة والفنـــــون